مستقبل العلاقة بين المسلمين والغرب
وحتمية خيار الحوار

الدكتور صالح بوبشيش
أستاذ محاضر. جامعة الحاج لخضر باتنة

تمتد فكرة الحوار – أو الصراع – بين الإسلام والغرب إلى زمن الحروب الصليبية، حيث ركز في الوعي الغربي منذ ذلك الحين تصور خاطئ عن الإسلام، وساهم الوعي الكنسي الغربي بشكل مباشر في تأسيس هذا التصور منذ الخطبة التي ألقاها البابا الفرنسي "إربان الثاني" عام 1095م بمدينة كليرمونت في مقاطعة أفرني الفرنسية فاشتعلت الحروب الصليبية وأضفت عليها طابعا مقدسا فضلا عن طابعها السياسي.[1]

ولقد ظلت علاقة المسلمين بالغرب عبر قرون طويلة محكومة بما أفرزته الحروب الصليبية من قطيعة تامة وعداء كبير، وتطورت هذه العلاقة في القرنين الماضيين لتخرج من النفق التاريخي – كما يصورها الكثيرون – إلى عالم جديد يؤسس لعلاقة جديدة، فإلى أي مدى يصدق هذا التصور، وهل أن علاقة المسلمين مع الغرب اليوم تختلف عن سابقتها؟ ثم ما هو واقع هذه العلاقة ولمن يرجع القرار في صنعها؟

وإذا كان العالم اليوم قد شهد تحولات كبيرة في مختلف مناحي الحياة فما هو مستقبل علاقة المسلمين مع الغرب في ظل ما يمليه الواقع وما تقتضيه مصلحة المسلمين خاصة والإنسانية عامة؟

تحديد وتأصيل لطرفي العلاقة: المسلمون، والغرب:

قبل أن نفصل في طبيعة العلاقة القائمة بين المسلمين والغرب وآفاقها في المستقبل، يجدر بنا أولا أن نحدد بصورة دقيقة المراد بطرفي هذه العلاقة؛ لأنه وإن بدا لنا المعنى واضحا من حيث ظاهر كلمتي المسلمين والغرب؛ إلا أن هناك

معنى آخر يلزمنا بيانه حتى تتجلى لنا ملامح هذه العلاقة، وتتضح من خلالها الآليات التي ينبغي لها أن تحكمها.

المسلمون: إذا أطلق هذا اللفظ أريد به كل من يتدين بدين الإسلام عربيا كان أو أعجميا حتى وإن كان غربيا.

وإذا أطلق اللفظ باعتباره طرفا مقابل لفظة الغرب، أريد به في الظاهر كل من يدين بالإسلام من غير مسلمي الغرب؛ ولكن لا نريد به هذا المعنى؛ لأن المسلم الغربي معني كغيره من المسلمين بإقامة علاقة مع سائر بني جنسه ممن لا يرغبون في أن يكون الإسلام دينا لهم مثله في ذلك مثل بقية المسلمين، وإن خالفهم في كونه أقرب إلى أهل الغرب من عامة المسلمين.

الغرب: المقصود بالغرب هو الانتماء إلى الحضارة الغربية، حتى ولو لم يكن المحيط الجغرافي للغربي غربيا، كدول أوربا الشرقية وبعض الدول الأسيوية وأستراليا...

والغرب يطلق ويراد به معنيان:

الأول؛ وهو الغرب الحضاري المسيحي في غالبه، فتحديده مرتبط بالعامل الديني والفكري أكثر من ارتباطه بالعامل الجغرافي.

والثاني؛ الغرب المادي الليبرالي الاستعماري، الذي لا يؤمن أصحابه لا بالدين ولا بالقيم ولا بالأخلاق ولا بمبادئ حقوق الإنسان التي وضعها الغرب نفسه، فهذا غرب لا يكن العداء للإسلام والمسلمين فحسب، بل لجميع الناس على اختلاف ثقافاتهم وحضاراتهم، ومنه انطلقت فكرة التصادم والصراع بين الحضارات، ونمت في

والمعنى الأول هو المقصود بتنظيم علاقة بينه وبين العالم الإسلامي وفق خيار الحوار، علاقة ليست بالجديدة وإنما هي قائمة وموجودة منذ تاريخ بعيد، وقد شهد عليها التأثير والتأثر الواضح بين الحضارتين الإسلامية والغربية، فلا مناص من أن يحكم الحوار هذه العلاقة ويبقي على استمراريتها، رغم ما يروج له البعض من حتمية الصراع والصدام.

ـ واقع علاقة المسلمين بالغرب:

لا أقصد من هذا العنصر الحديث بتفصيل عن واقع علاقة المسلمين بالغرب؛ لأنه يرجع في أصله من حيث المحاور التي ينبني عليها موضوع الملتقى إلى المحور الثاني، وما يقدم فيه من محاضرات كاف لرصد هذا الواقع؛ ولكني

رغم ذلك أريد أن أجمل واقع هذه العلاقة ضمن عناصر أراها دوافع مهمة ومؤثرة في رسم المستقبل الذي نستشرفه في ظل حوار شامل وبناء..خاصة بعد التحولات الجذرية التي شهدها العالم في العشرية الأخيرة من القرن الماضي، حيث انهيار الأنظمة الشمولية في أوربا الشرقية، والسعي الغربي ـ وأقصد بذلك ـ الأمريكي خصوصا لإقامة نظام دولي أحادي القطبية تحت مسمى العولمة، والأحداث المأساوية التي ألمت بالعالم الإسلامي وأدخلته في دوامة كبيرة لا زال يعاني من تداعياتها إلى اليوم.

وفي قراءة شاملة لهذه التحولات يمكن لنا أن نستجلي هذه الدوافع من خلال واقع العلاقة بين المسلمين والغرب ضمن النقاط التالية:

ـ التبعية وسيطرة الغرب من خلال امتلاك التكنولوجيا:

وتتجسد هذه السيطرة كما يصفها أحد الكتاب الأمريكيين في أن العالم الغربي يملك ويدير النظام المصرفي في العالم، ويسيطر على كل أنواع العملة الصعبة، وأنه هو الذي يوفر للعالم معظم بضائعه الجاهزة، وأنه يسيطر على أسواق الرأسمالية العالمية، وأنه يقوم بمعظم البحوث والتطوير للتقنية المتقدمة، وأنه المهيمن على وسائل الاتصال العالمية، ولا شك أن على المسلمين أن يستفيدوا من كل ذلك فيما يخدم مصالحهم ويحقق لهم الاستقلالية ولو في أدنى مستوياتها ليتخلصوا من عبء التبعية المطلقة، وعليهم كذلك أن ينهجوا في تعاملهم مع الغرب منهج الحوار لا الصراع؛ لأن الحوار هو الخيار الاستراتيجي الذي ينبغي أن يحكم مستقبلا، وهو ليس بالمستحيل إذ يمكن تحصيله من خلال الرجوع إلى المشترك الإنساني والديني للعالمين الغربي والإسلامي، ونتائجه المتوقعة وإن كانت هزيلة في تصور البعض بناء على تجارب عدة؛ إلا أن هذا التصور غير مقطوع به ويمكن أن يتغير إذا ما روعيت المقومات الحقيقية للحوار كما سيتقدم بيان أهمها.

ـ التفوق العسكري:

لقد مكن امتلاك الغرب للتكنولوجيا الحديثة والمعلوماتية من بلوغهم مستويات عليا في التسلح لا نظير لها من قبل؛ حيث شهد هذا المجال في عقود ما بعد الحربين العالميتين سباقا متسارعا نحو التطور النوعي في السيطرة على العالم من خلال امتلاك الأسلحة الفتاكة والمدمرة.

الأمر الذي أعطى للغرب القدرة الفائقة على التدخل العسكري في أي منطقة في العالم، وما تواجد القوات الأمريكية وقوات التحالف وتدخلها في مختلف

بـؤر الـنزاعات والحروب المفتعلة، وسيطرتها على معظم المضايق البحرية؛ إلا واقع مؤكد لذلك.

كمـا تتجلى الهيمنة العسكرية للعالم الغربي فيما يمتلكه من تقنية عالية في صـناعة الأسـلحة ومـا يسمى بحرب النجوم وأسلحة الدمار الشامل، مما يجعل موازين القوى بينه وبين العالم الإسلامي معدومة؛ ولذلك فإنه لا مجال لهذا الأخير لإقامة علاقة مع الغرب إلا في إطار خيار الحوار وفق ما يخدم مصلحة المسلمين ويحقق مكاسب لهم لا يمكن بلوغها لو حكم منطق الصراع والتصادم.

ـ حتمية العولمة وتأثيراتها السلبية على المسلمين:

لقـد أضـحت العولمة واقعا لا مناص من التخلص منه أو تجنب إفرازاته سلبية كانت أو إيجابية في مختلف مناحي الحياة.

ومـن بين ما أفرزته العولمة على حياة الإنسان التجاهل الملحوظ من مقبل المنظريـن لهـا لتنصـيب حقوق الإنسان فيما ينبغي عولمته كالاقتصاد والإعلام، بالـرغم من الكم الهائل للاتفاقيات الدولية والمواثيق الأممية التي تؤكد على مبادئ إنسـانية ضرورية لضمان حياة الإنسان وكرامته خاصة تلك التي تضمنها الإعلان العالمـي لحقوق الإنسان، والمتعلقة بالحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[2].

كل هذه الاتفاقيات والمواثيق هي عبارة عن أرضية صلبة وقاعدة أساسية لتأسـيس علاقـة حوار قائمة ودائمة بين العالمين الغربي والإسلامي تضمن على الأقـل الحمايـة الضـرورية لحقـوق الانسـان وفق الأعراف الدولية والمشترك الإنساني.

ـ الهجرة المتزايدة للمسلمين إلى الغرب:

إن الدوافع الأساسية لغالبية المهاجرين من المسلمين إلى الغرب هي دوافع اقتصـادية بحتة، وقد أثبت الواقع أن الغالبية العظمى منهم تفقد هويتها الثقافية لغة ودينـا ومظهـرا، وتنساق وراء المدنية الغربية المبنية على الليبرالية المتوحشة و الإباحية المتطرفة.

ولذلك فإنه لا غرابة أن يتواجد مثلا في فرنسا أزيد من أربعة ملايين مسلم دون أن يكـون لهـم صوتا مسموعا أو رأيا محترما حتى في أخص خصوصيات الديـن، وما قضية الحجاب الأخيرة ببعيدة عنا، بخلاف غيرهم ممن يعتنقون الديانة

اليهودية، فعددهم لا يتعدى ثمن عدد المسلمين ومع ذلك فإن لهم مواقف تهتز لها أركان الدولة الفرنسية، مثل موقفهم من دولة إسرائيل، ومعاداة السامية.. وغيرها.

فعلى المسلمين خاصة ممن يعيشون في بلاد الغرب أن يكونوا رساليين وأن يعمدوا إلى أسلوب الحوار والتشاور فيما بينهم ابتداء، ليكونوا الصورة الحقيقية التي ينظر من خلالها أهل الغرب إلى الإسلام وعامة المسلمين.

ـ النظرة العدائية للغرب تجاه المسلمين بعد أحداث 11 سبتمبر 2001:

لقد سيطرت النظرة العدائية للغرب تجاه المسلمين وازدادت حدتها لا سيما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ، وهي نظرة غالبة قوامها الخطاب السياسي والإعلامي؛ فكل منا يتذكر جيدا كيف نقلت لنا وسائل الإعلام المختلفة الوضع الذي عاشه المسلمون في الغرب ـ خاصة ـ عقب هذه الأحداث، حيث هدد أبناء الجالية المسلمة بالطرد والقتل وإحراق المساجد، وشاع في الوسط الغربي في أوربا وأمريكا وأستراليا وجوب طرد المسلمين وترحيلهم؛ لأنهم السبب فيما وقع من أحداث دامية زرعت الرعب والخوف في جميع أنحاء العالم وخاصة الغربي منه؛ الأمر الذي ولد كراهية كبيرة في نفوس الغربيين تجاه العرب والمسلمين، وزاد ذلك في تقوية اتجاه الذين رفعوا من قبل لواء الصراع والتصادم الحضاري، حيث وجدوا في أحداث سبتمبر المبرر الأقوى لدعم فكرتهم.

وقد كان لهذا كله أثره الكبير في التراجع الواضح لنسبة المعتنقين للإسلام من الغربيين نتيجة تصورهم الخاطئ عن الإسلام والمسلمين، حيث انطبع في أذهانهم وعقولهم على أن أصحاب هذا الدين ليسوا سوى إرهابيين يهددون الأمن والسلام الدوليين. غير أن هذا لا ينفي وجود من يلمس حقيقة الإسلام من المتخصصين في الدراسات الإسلامية في الجامعات ومراكز الأبحاث الأكاديمية، وأنه خلاف ما تروج له وسائل الإعلام الغربية.

فالمسلمون في وضع لا يحسدون عليه، وما عليهم إلا أن يثبتوا بطلان كل تلك التهم التي ألصقها الغرب بهم بهتانا وإثما مبينا من خلال التحاور مع من يهتدون إلى مبادئ الأخلاق وقواعد المنطق من المنصفين الغربيين.

ـ اعتبار الإسلام والمسلمين الخطر الذي يهدد العالم الغربي، وعلى الجميع مواجهته:

لما كانت السياسة الخارجية الأمريكية تقوم على ضرورة وجود تهديد ما والعمل على إيجاده إن لم يكن موجودا، فإنها اتجهت بعد انتهاء الحرب الباردة إلى تصوير الإسلام على أنه التهديد الجديد واصفة إياه بالأصولية أو الراديكالية، وهذا ما تشير إليه الكاتبة الأمريكية إلين سيولينو: "في ظل غياب التهديدات الملحة الأخرى ضد الولايات المتحدة فإن الراديكالية الإسلامية نجحت في التحكم في خيال عدد من أعضاء الكونغرس"[3].

وتظهر هذه الحقيقة في التغطية الإعلامية السلبية لأخبار الإسلام والمسلمين، وأن التركيز على أن الإسلام هو العقبة التي تعيق مسيرة العالم نحو الانطلاق هو محاولة لتهيئة الأذهان وتمهيد الطريق أمام غزو العالم الإسلامي واتخاذ إجراءات تغييرية فيه تؤمن اختراقه من قبل العولمة، وما هو جار في عديد البلاد الإسلامية كالعراق وأفغانستان..لدليل على ذلك.

والمسلمون أمام هذا الواقع المرير عليهم ألا يعطوا للغرب الذرائع ليفعل بهم ما يشاء باسم القانون الدولي وحقوق الإنسان وحماية الأقليات ونشر مبادئ الديمقراطية.. وغير ذلك، بل يجب عليهم أن يثبتوا عن طريق التحاور مع من يظنون فيه الخير والصلاح من علماء ومثقفي الغرب إنسانية الدين وسماحته..

ـ خيار الحوار، حقيقته ومجالاته:

أمام هذا الواقع المرير للعلاقة السائدة بين المسلمين والغرب، والذي لا يختلف في جوهره عن واقع هذه العلاقة عبر مختلف المراحل التاريخية، سوى في وحشيته المقننة والشاملة، تارة باسم الأمم المتحدة وتارة أخرى باسم النظام العالمي..لا يسعنا غير التمسك بخيار الحوار، بدل الصراع الذي جلب المآسي والأحزان وعانت من ويلاته الإنسانية كلها ما عانت ولا زالت إلى اليوم..

والحوار المطلوب باعتباره خيارا حتميا لا يعني أبدا الشمولية أو الاحتوائية التي يمارسها الغرب وبالأخص كبريات دول العالم، وإنما يراد به ابتداء ذلك الحوار الذي يؤسس لفضاء جديد يتعايش فيه العالمين الغربي والإسلامي، بناء على ما يجمعهما من قواسم مشتركة في جوانب عدة كالإيمان والأخلاق والتسامح والتعاون وغير ذلك مما يمثل في مجموعه أرضية صلبة وقاعدة أساسية يقوم عليها الحوار.

ـ حقيقة الحوار:

الحوار لا يكون إلا بين اثنين مختلفين ومتعارضين فأكثر، والاختلاف والتعارض فيه مقدمة ضرورية لا يتحقق حوار بدونها.

الحوار ينتج حقيقة جديدة ليست لأي من المتحاورين، بل لهم جميعا.

والأداة الرئيسية في استعمال الحوار هي الكلام أو الكتابة، وبمعنى آخر القول والمقال، وفي هذا الشأن يحكى أن الفيلسوف اليوناني إيسوب كان يخدم أرستقراطيا أثينيا يدعى اكسانتوس يزعم أنه فيلسوف، وفي يوم من الأيام دعا اكسانتوس إلى بيته قائد حامية مدينة أثينا وقال لإيسوب: اذهب وأحضر لنا أفضل طعام في أثينا لأحتفي بصديقي، فذهب إيسوب وعاد بعد مدة بصفحة مغطاة فيها طعام وهيأ المائدة، ودعا سيده والضيف، وعندما كشف اكسانتوس الصحفة المغطاة استاء وصرخ إيسوب أمرتك أن تحضر لضيفي أفضل طعام في أثينا فأحضرت لنا لسانا؟ فقال إيسوب: يا سيدي إن اللسان أفضل ما في أثينا، باللسان نقول الله، وأماه.. ونلقي الأشعار الجيدة ونطلق أحسن الأدعية، قال اكسانتوس: حسنا اذهب إذن وأحضر لنا أسوأ طعام في أثينا، فذهب إيسوب وبعد مدة عاد... فقال له اكسانتوس لقد أحضرت لنا لسانا أيضا.. أتسخر مني؟ فقال: كلا يا سيدي، باللسان نطلق أقذف الشتائم واللعنات ونستخدم أقذر الكلمات ونلقي الأشعار والخطب السيئة ونعلن الحروب، فاللسان أسوأ شيء في أثينا..[4]

فالقول أو المقال له دور رئيسي في الحوار والتفاهم، وكذا في الصراع والتنافر.

والحوار قسيم الصراع، وهذا الأخير منه ما هو طبيعي يطلق عليه سنة التدافع وهو سنة كونية، قال تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾[5]، فهذا النوع بطبيعته لا يتعارض مع وجود الحوار واستمراريته.

ومنه ما هو خلاف ذلك وهو الصراع الذي يهدم أسس الحوار ويقطع دابره، وهو ما نادى به الأمريكي هنتجتون، حيث يعد أول من أشاع تعبير صراع الحضارات ـ وهو أعلى مراتب الصراع ـ في مقال مشهور نشر صيف عام 1993م في مجلة ، ثم نشر في كتاب بالعنوان ذاته. فهنتجتون وإن كان سباقا في الجهر بحتمية العداء الغربي لكل ما هو إسلامي، وفي التقعيد لنظرية الصراع، فإنه في الواقع لم يقم سوى بالكشف عن مكنون الضمير الغربي في ميله الدائم ـ مع

سائر الناس وخاصة المسلمين ـ إلى الصراع بدل الحوار على مر التاريخ، وما إسقاط الدولة العثمانية والحملة الاستعمارية العالمية على جميع بلاد المسلمين في التاريخ الحديث عنا ببعيدة.

وبالرغم من ميل العديد من مفكري وساسة العالم الغربي لنظرية الصراع؛ فإن خيار الحوار يظل خيارا استراتيجيا لدى البعض منهم كما هو الحال وبشكل أقوى عند الكثيرين ممن ينتسبون للعالم الإسلامي، وهو خيار ينبغي دعمه وتوفير جميع الشروط والضمانات الكفيلة بتجسيده على أرض الواقع ليكون الإطار الذي يحكم مستقبلا واعدا لعلاقة المسلمين بالغرب.

ـ مجالاته:

إن منطق الحوار لا يمكن له أن ينحصر في مجال معين، بل إن مجاله مفتوح على كل ما له صلة بالإنسان، ولعل أبرز مجال تتجلى فيه لغة الحوار وروحه هو المجال الديني والثقافي والحضاري والسياسي..

ـ حوار الديانات: وليس حوار الأديان كما يصطلح عليه عند الكثيرين؛ لأن الدين عند الله واحد، والمتعدد هو الديانات. قال تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والنبيين...

وقد أضحى اليوم حوار الديانات ضرورة إنسانية، ويتوقع أن يتصدر قائمة القضايا المطروحة عالميا لفترة طويلة في هذا القرن الجديد. وهذا بغض النظر عن الخطابات المتعددة له والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، فمن دون شك أن معظمها لا يتوفر على حسن القصد في اكتشاف الآخر واحترامه والسعي معه لإيجاد أرضية مشتركة تحقق السعادة للجميع، بل العكس من ذلك فهي تسعى باستعمال مختلف الوسائل والأساليب لاحتوائه وتجريده من معتقداته؛ الأمر الذي يجسد سياسة جديدة في استعمار ذكي، وهو ما تتبناه كثير من الدول والمنظمات وتعمل على بلوغ أهدافه.

إلا أن كل ذلك لا يمكن أن يحول دون تفعيل آليات الحوار بما يحقق المصلحة في التعرف على الآخر واحترام رأيه ومعتقداته والبحث عن إمكانية إيجاد أطر تحكم العلاقة بين أصحاب مختلف الديانات من خلال الوقوف على المشترك الديني والأخلاقي والإنساني.

ـ الحوار الثقافي وحوار الحضارات:

إذا كـــان مهندســو العولمة قد أطلقوا العنان لمشروعهم لأن يدخل مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية والاجتماعية وغيرها؛ فإن العولمة وإن أثمـــرت فـــي جانبها الاقتصادي والسياسي؛ فإنها لا زالت تراوح مكانها في المجاليـــن الثقافي والحضاري؛ الأمر الذي دعا ببعض المنظرين في العالم الغربي إلـــى الاهـــتمام بفكرة العولمة الثقافية والحضارية، والمطالبة بلزوم تحقيقها وبلوغ أهدافهـــا؛ لأنه لا خيار أمام الغير إلا بالاندماج في الحضارة الغربية وإلا فإن مآلهم الفناء بعد الصدام والصراع.

ويؤكـــد صموئيل هنتجتون على أنه لا مجال للتطور والاستفادة من التقنية واســـتخدامها إلا بالاندمـــاج الكامل في الحضارة الغربية والتبعية المطلقة للنموذج الغربـــي مركـــزا علـــى المســـلمين كمثال للعالم المتخلف، فيقول في كتابه صدام الحضـــارات: "..فـــلا بد من الاعتراف بهيمنة الحضارة الغربية حتى يمكن التعلم مـــنها...عندما يقبل المسلمون بالنموذج الغربي صراحة سيكونون في وضع يمكنهم من استخدام التقنية، ومن ثم أن يتقدموا"[6].

وقد سار على ركبه فوكوياما ـــ أمريكي من أصل ياباني ـــ فادعى نهاية الـــتاريخ وأنـــه لم تعد هناك حضارة ولا ثقافة غير الحضارة والثقافة الغربية، وأن بقايـــا الحضارات الأخرى وما يمكن أن يمثل أساليب أخرى للحياة لا بد أن يتشابه ويخضع للحضارة الغربية.

إن الدعـــوة إلـــى عولمـــة الـــثقافة تؤدي بلا شك إلى تنامي الصراع بين الـــثقافات إلى درجة التصادم، خاصة إذا ما دعت الدول الغربية إلى حتمية الأحادية الثقافـــية، كما تمكنت من فرض دعوتها إلى الأحادية الاقتصادية، وجعل الاقتصاد العالمي في قبضة منظمة التجارة العالمية وصندوق النقد والقرض الدوليين.[7]

ولا ســـبيل لـــتفادي الانعكاسات الخطيرة لهذه الدعوة إلا سبيل الحوار بين مختلف الثقافات والحضارات..

وتمـــثل المـــبادرة التـــي أطلقها الرئيس محمد خاتمي رئيس مؤتمر القمة الإســـلامي الثامـــن حـــول إعلان سنة 2001 لتكون سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات، خطوة هامة نحو تكريس منطق الحوار وسد بؤر الصراع لما في ذلك من خير ومصلحة تعم الجميع

ـ حتمية الحوار وتشجيع الإسلام له:

إن ما تقدم من بيان واقع العلاقة القائمة بين المسلمين والغرب ليمثل في الحقيقة دوافع وبواعث على حتمية الحوار واعتباره خيارا استراتيجيا في رسم علاقة متميزة قوامها تحقيق المصلحة واحترام الآخر.

وحتمية الحوار أمر يحث عليه الدين الحنيف، وتستوجبه مصلحة المسلمين التي يلزم تحقيقها والحفاظ عليها.

إن عالمية الدين الإسلامي خير شاهد على أن الحوار أحد مرتكزات هذا الدين الخالد، ويتجلى هذا في كثير من النصوص القرآنية التي حث فيها الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم وسائر المسلمين بضرورة احترام الآخر ومحاورته بالتي هي أحسن.

وقد ذكرت كلمة الحوار في القرآن ثلاث مرات اثنتين في سورة الكهف والثالثة في سورة المجادلة.

وتشهد كثير من النصوص على سنية الاختلاف وأهمية التعرف على الآخر والاحتكاك به لما له من قيمة إنسانية وتكريم عند الله تعالى، من ذلك:

قوله تعالى في تكريم الإنسان وتوقيره: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾[8]

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾[9]

وقوله تعالى في جعل الاختلاف سنة كونية: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾[10]

وقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[11]

جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[12].

فالقرآن في أساسه كتاب حوار، يعني حوار الأنبياء مع أقوامهم كحوار سيدنا إبراهيم مع قومه، وسيدنا موسى مع فرعون وما حكاه القرآن عن يوسف وهود وصالح وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام خير دليل على ذلك، بل إن القرآن الكريم أورد لنا في سور عديدة حوارا جمع بين الله سبحانه وتعالى وإبليس شر خلقه..

ـ مقومات الحوار المثمر:

إن الحوار المنشود والذي يرسم أطرا جديدة لعلاقة متميزة ودائمة تحكم العالمين الغربي والإسلامي لا يمكن له أن يتحقق إلا إذا توافرت مقوماته الأساسية، ولحسبها كما يلي:

ـ تبني الحوار كخيار استراتيجي في العالمين الإسلامي والغربي:

لا يمكن للحوار أن يؤتي ثماره إلا في ظل تبنيه كخيار استراتيجي في العالمين الغربي والإسلامي، وأن أي تراجع من أي طرف كان في هذا الأمر يجعل من الحوار جسدا بلا روح، فهو وإن تجسدت فيه سائر المقومات الأخرى بمعزل عن هذا المقوم الأساسي، فإن مآله الفشل، وإن بدت فيه بعض الإيجابيات فهي صورية وشكلية سرعان ما تذهب وتزول.

ـ التركيز على القواسم المشتركة: فلا شك أن المختلفين وإن بعدت بينهما الشقة إلا أنهما تجمعهما أشياء تختلف نسبة الاجتماع هذه باختلاف كل ما يحيط بساحة الحوار بينهما وتنتهي هذه النسبة إلى أضعف مستوى لها، فيلتقي المتحاورين عندها فتجمع بينهما الإنسانية بكل ما تحمليا من معاني.

إن العودة إلى التاريخ المشترك والإرث الثقافي الكبير والقيم الإنسانية الرفيعة كفيل بما يدعم ويعزز فرص الحوار والتقارب.

وقد أكد القرآن الكريم ضرورة مراعاة هذا الشرط في حوار المؤمنين مع أهل الكتاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإليكم واحد ونحن له مسلمون﴾.[13] وقوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[14].

فالحوار الذي يتأسس على أرضية صلبة يقف عليها طرفا الحوار لا يمكن أن يحكم عليه بالفشل طالما هناك ما يجمع بين المتحاورين؛ بخلاف ما لو كان منطلق الحوار هو الاختلاف البين فلا شك أن سيؤول إلى تكريس الخلاف وتعميق هوته، وينتهي بالصراع الدائم بين مختلف أطرافه.

ولنا أن نتصور طبيعة هذه القواسم المشتركة في عديد الحوارات الفكرية والمذهبية والدينية وغيرها، فلو كان الحوار القائم مثلا حوارا إسلاميا علمانيا

فيمكـــن أن تكـــون القيم الإنسانية والوطنية قاعدة أساسية وهامة للحوار، ولو كان الحـــوار حـــوارا إســـلاميا مسيحيا، فإن الإيمان بالله تعالى وبالرسل وباليوم الآخر والجزاء قاسم مشترك يضمن القابلية للحوار وحسن سيره في هذا الجانب.

ـ **إيجـــاد إطار معرفي جديد لعلاقات مستقبلية إيجابية:** لا بد لهذا الإطار كـــي يحقـــق أهدافـــه من تجاوز التاريخ الذي يذكر بالمآسي التي جرتها الحروب الصـــليبية، والإســـقاطات النفسية التي تركتها في نفوس الغربيين وجعلتهم يعادون الإســـلام تحـــت مبررات واهية، لا زالت وسائل الإعلام الغربية إلى الآن تحاول تأصيلها في نفوس النشء الغربي وضمن مناهجهم الدراسية أيضا، بالإضافة إلى ما يبـــث عبر وسائل الإعلام من تشويهات للإسلام أمام الرأي العام الغربي، بغرض تحقـــيق مزيد من المكاسب السياسية التي تقف خلفها بلا شك دوائر يهودية وجهات معادية للإسلام.[15]

ـ **أن يكـــون بلـــوغ الحقـــيقة والذود عنها هو الهدف الأسمى للحوار:** والحقيقة لا يمكن تعيينها قبل أو عند بداية الحوار؛ لأن معرفتها وإدراك كنهها إنما يمـــثل في واقع الأمر هدف الحوار ونتيجته؛ فإذا كانت النتيجة محددة سلفا فإن مآل هـــذا الحـــوار الفشل المحتوم، لاستحالة أن يتنازل أي طرف من أطرافه عن رأيه وفكرته.

ولكـــي يكـــون الحوار ناجحا ومثمرا ينبغي أن يولد هو نفسه الحقيقة التي يســـعى جمـــيع أطرافه إلى تحقيقها من خلال اعتماد أرضية مشتركة يتم التأسيس لأركانهـــا باتفاق الجميع، وهي موجودة ومتصورة ـــ على اختلاف طبيعتها ـــ في أي مجال يمكن للحوار أن يطرق بابه.

ـ **نـــبذ العصبية المقيتة بين الجماعات والدول والأفراد:** لا يمكن للحوار أن يؤتـــي ثماره إذا ما كانت جوانبه محاطة بالعصبية للفكرة أو الرأي، فلا بد من العمـــل ما أمكن على تجنب الوقوع في أسر مختلف المؤثرات الاجتماعية والثقافية والسياســـية والدينـــية وغيرها لما لها من دور فعال في توجيه الحوار توجيها بعيدا عن الموضوعية وما يتطلبه الحوار من البحث عن الحقيقة والوصول إليها.

ـ **عـــدم الحوار من موقع دفاعي:** أو من موقف إحراج الآخر من موقعه أو الاســـتخفاف به وبما يحمله من أفكار ومبادئ، بل يجب الالتزام بمبدأ الصوابية غير المطلقة، وتبني منطق التعامل مع الآخر في طريان احتمالية الصواب والخطأ في الرأي.

ــ **دعــم ثقافــة الحوار**: وذلك من خلال تبني سياسات جديدة في المناهج التعليمــية والثقافــية والإعلامــية تهدف إلى تعزيز روح التفاهم والتسامح وقبول الآخــر. وفــتح المجال للاطلاع على النتاجات الثقافية والمعرفية والفكرية للأمم، والعمــل علــى اســتثمارها وتوظــيفها وفق ما يدعم التفاهم والتواصل بين الأمم والحضارات، ويرسي أسس التسامح والتقارب.

وخــتاما فإنه لا مناص من سلوك طريق الحوار لاستشراف مستقبل مشرق يحكــم علاقــة المسلمين بالغــرب. وأن الحوار الناجح هو ذاك الذي توافرت له مقوماتــه التــي سبق لنا ذكرها، حيث تجعله الوسيلة المثلى للوصول إلى التعارف الــذي دعــا إليه الإسلام والذي به يحل السلام والتقارب بين جميع الناس على ما بينهم من اختلاف.

الهوامش والتعليقات

---

[1] ــ الإسلام والغرب، نظرة نقدية حول المستقبل. مقال لعبد الرحمن الوالي، مجلة الكلمة، ع:18، 1998، 1419هـ.

[2] ــ أنظر تفصيل ذلك في: محمد مصيلحي، حقوق الإنسان ص: 401

[3] ــ أنظــر: محمــد حسين عودش، الغزو الثقافي للأمة، مظاهر ومخاطر، بحث ألقي في المؤتمر الثالث عشر للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

[4] ــ علــي عقلة عرسان، مكانة الحوار الثقافي في بناء الحضارة ودوره في نحت صورة إنسانية، مقال في مجلة الفكر السياسي، ع: 16، س:05، 2002.

[5] ــ سورة البقرة، الآية: 251

[6] ــ أنظر: صدام الحضارات ..إعادة صنع النظام العالمي، صموئيل هنتجتون، ص: 112.

[7] ــ صــالح بوشــيش، الانعكاســات السلبية للعولمة على الثقافة الإنسانية وسبل مواجهتها، بحث قدم إلى المؤتمر الدولي الثامن الذي احتضنته كلية الحضارة الإسلامية بوهران في شهر ديسمبر 2003.

[8] ــ سورة الإسراء، الآية: 70

[9] ــ سورة الحجرات، الآية: 13

[10] ــ سورة هود، الآية: 118

[11] ــ سورة يونس، الآية:99

[12] ــ سورة النحل، الآية: 125

[13] ــ سورة العنكبوت، الآية: 46

[14] ــ سورة آل عمران، الآية: 64

[15] ــ أنظر: الإسلام والغرب لزكي الميلاد، ص: 47

ثبت بالمراجع:

ـ الإسلام والغرب، الحاضر والمستقبل، زكي الميلاد وتركي علي الربيعو، ط: ، 1998، دار الفكر، دمشق.

ـ الإسلام والغرب، نظرة نقدية حول المستقبل، مقال لعبد الرحمن الوائلي، مجلة الكلمة، ع:18، 1998، 1419هـ.

ـ الغزو الثقافي للأمة، مظاهر ومخاطر، محمد حسين عرندس، بحث ألقي في المؤتمر الثالث عشر للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ـ الإسلام والغرب، نظرة نقدية حول المستقبل، مقال لعبد الرحمن الوائلي، مجلة الكلمة، ع:18، 1998، 1419هـ.

ـ مكانة الحوار الثقافي في بناء الحضارة ودوره في نحت صورة إنسانية، علي عقلة عرسان، مقال في مجلة الفكر السياسي، ع: 16، س:05، 2002.

ـ صدام الحضارات ..إعادة صنع النظام العالمي، صموئيل هنتجتون، القاهرة 1998.

ـ حقوق الإنسان، محمد مصيلحي، دار النهضة العربية 1988، مصر.

ـ الانعكاسات السلبية للعولمة على الثقافة الإنسانية وسبل مواجهتها، صالح بوبشيش، بحث قدم إلى المؤتمر الدولي الثامن الذي احتضنته كلية الحضارة الإسلامية بوهران في شهر ديسمبر 2003.